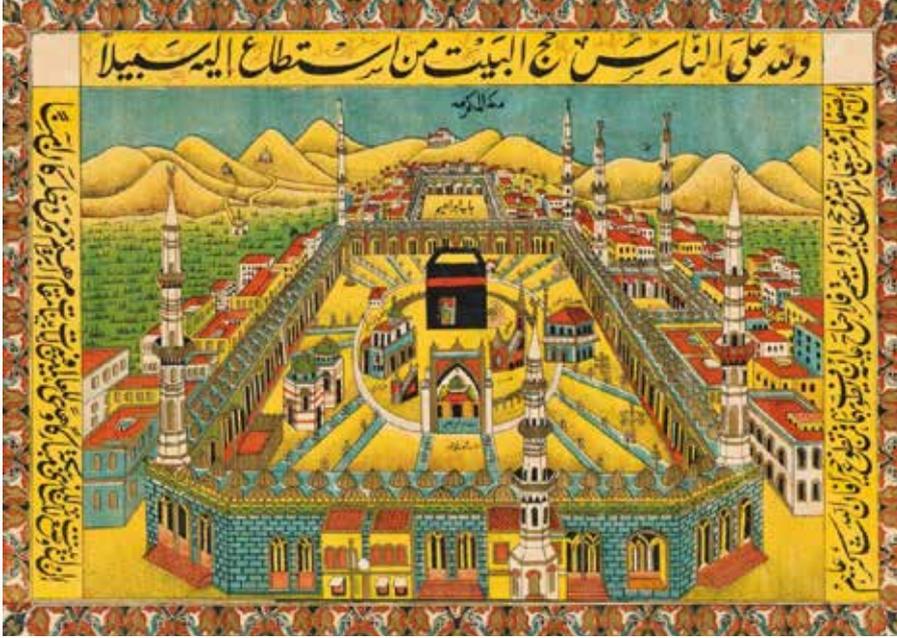


حَجَّةُ سَيِّدِي الْمَغِيلِي وَقَصِيدَتُهُ الْمِيمِيَّةُ

عبد الرحمن حمادو الكُتَّيبي



المغيلي هو تاج الدِّين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم التلمساني⁽¹⁾، وأبو عبد الله في جلِّ المصادر. محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف الأشعري معتقدا المالكي مذهباً المغربي إقليمياً المغيلي نسباً التلمساني منشأ الإسكندري منزلاً⁽²⁾. القادري طريقة، بل أول من نشر الوُرْد القادري في البلاد السودانية.

قال الشيخ المؤرخ الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي الشنقيطي قطب القادرية الأبرز في موريتانيا (1270هـ / 1854م)⁽³⁾ في مصنّفه الموسوم بـ"الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد" مترجماً للمغيلي: "هو الشيخ العالم العلامة النحرير الفهامة ذي الخوارق المتواترة والحقائق المتوافرة سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني. ولد بتلمسان، وبها نشأ، وحفظ القرآن في صغره، ورحل إلى بجاية فدرس بها العلم وأخذ عن مشايخها، فلما تمهّر في العلوم وارتاض (وتدرب) وتأدب على يد أبي العباس الوغليسي فبلغ مبلغ الرجال، وتحلى بجمائل الأحوال، ووضع قدمه في مناهل الكمال، رحل إلى توات وهي يومئذ دار علم وإسلام ومستقر أكابر أعلام، فقطنها وانتفع به أهلها ووكد بها الأولاد... إلخ".

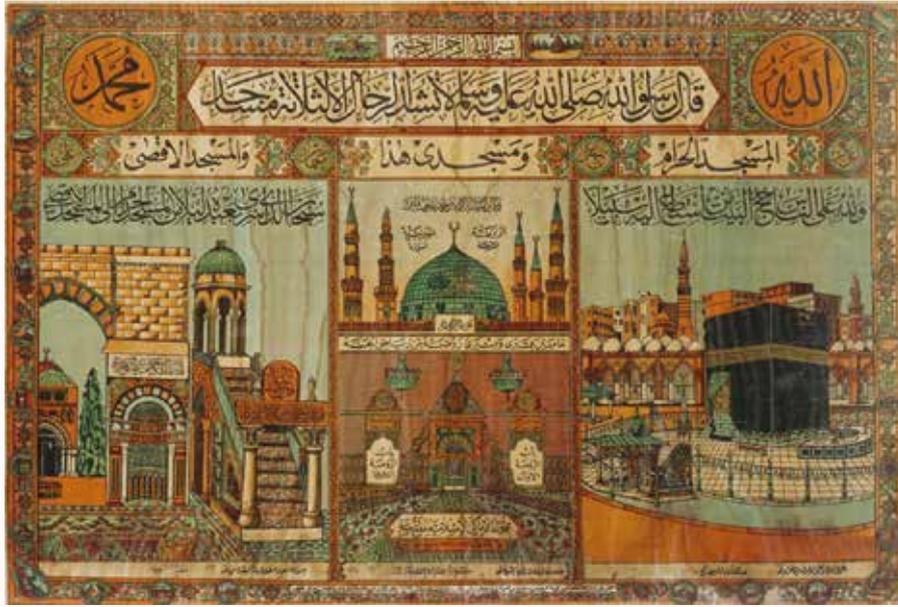
وإليك نسبه الشريف كما حفظه لنا في وثيقة أهل توات: محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي بن عمر بن يخلف بن علي بن الحسين بن يحيى بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر (كذا مكرراً) بن عبد ابن إدريس ابن إدريس بن عبد الكامل بن الحسن المثني السبط بن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بنت الرسول ﷺ.

بالمعروف وألّف له تأليفاً أجابه فيه عن مسائل". واجتماعه هذا بالسلطان إسكيا محمد الذي حكم ما بين 1493-1529م، بعد الحاكم (سني علي) الذي توفي عام 1492م⁽⁴⁾. نقطة تحوّل لبلاد السنغاي⁽⁵⁾ إلى عهد جديد من الحكومة الإسلامية. وقد احتمل أحد الباحثين مرافقة المغيلي للسلطان إلى الحج⁽⁶⁾، لكن من المؤكّد أنه لم يرافقه.

صفة رحلته:

للإمام المغيلي رحلات في قلب صحراء السودان الإفريقية، يلفظُ جمعها لمن رام إثراء تاريخ أدب الرحلات تحت اسم "رحلة المغيلي". والذي يهمننا هنا هو رحلته إلى الحجّ. يقول التنبكتي: "رحل لبلاد التكرور فوصل إلى بلدة كاغو واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج وجرى على طريقته من الأمر

- (1) ورد هكذا في ديباجة "مرّ النسيم إلى ابن عبد الكريم" للإمام الحافظ السيوطي. وانظر كتابنا الموسوم بـ: مع المغيلي ابن عبد الكريم الإمام صاحب نازلة يهود توات حقائق ووثائق، طبع مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، بدعم من وزارة الثقافة بمناسبة خمسينية الاستقلال. وكذا الكتاب الآخر: العلامة المغيلي وسياسته مع اليهود الوثائق الكاملة ويليها الإجابة عن سؤال حول قبائل يلقبون بالغلثاف، وهذا ضمن الأعمال الكاملة للمغيلي المجموعة بإشرافي.
- (2) طليعة "شرح التبيان في علم البيان" للمغيلي (ص123 وص127)، ومثله في طليعة "إفهام الأنجال أحكام الآجال" خ بالخرزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم: 470ك (ق309).
- (3) وقد أُرِخ أهل توات وفاته بتاريخ (1242هـ/1826م).
- (4) انظر ترجمته في: "تاريخ السودان" للسعدي (ص64 إلى ص71).
- (5) قال د.عمر فروخ في "تاريخ الأدب العربي" (43/6): "تلفظ صُغاي (بصاء مضمومة ثم غين كأنها قاف ثم نون خفيفة كأنها مضمرة: مدغمة في الياء)، ولعل معناها: السني، نسبة إلى سنة رسول الله ﷺ".
- (6) انظر: "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية"، د.عمر الدين محمد فضل الله. مجلة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس-ليبيا: العدد الرابع 1987. (218-219)، لكن في "تاريخ الفتاش" ما يشعر بأنه سافر دون المغيلي حيث سأل السيوطي بمصر عن مسائل، ثم سأل المغيلي نفس المسائل عند عودته. ويتوافق هذا الرأي مع رأي ورأي المستشرق جون هنويك (41 replies) أن المغيلي ربما زار غاو عند عودة أسكيا من الحجّ في يوليو أوغست 1498م.



إذ لما رجع وجد قواته العسكرية قد صمّت إلى مملكته بلاد الكبي (شمال نيجيريا) بين مملكتي برنو والسغاوي، فجدّد عدا من العلماء (منهم المغيلي) ليعملوا في تلك الناحية وينشروا الإسلام، ويقوموا العادات الوثنية⁽⁷⁾. وقد كان المغيلي مستشارا ومرشدا وواعظا لدى السلطان أسكيا محمد، الذي رفع له ذكره وقدره، فترجم فتاويه العلمية إلى أحكام عمليّة.

رحلة المغيلي إلى الحجّ ونزوله الإسكندرية والقاهرة:

هل سلّك المغيلي في طريقه إلى الحجّ الطريق التي سلكها الرحالة التلمساني الشهير بالقلصادي؟

تلمسان، وهران، تونس، طرابلس، الإسكندرية، القاهرة، البقاع المقدسة، العودة لمصر القاهرة، برقة، طرابلس، تونس، وهران، تلمسان. العلم عند الله تعالى.

جاء التصريح بدخول المغيلي إلى الإسكندرية وذلك في مقدمته لكتابه "شرح التبيان في علم البيان" (ص123، 127). جاء فيها: "أما بعد: فيقول عبّيد الله الغني به عمّن سواه، محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف الأشعري معتقدا المالكي مذهبا المغربي إقليما المغيلي نسبا التلمساني منشأ الإسكندري منزلاً".

حجّ المغيلي برقة سيدي عمر الشيخ (ت958هـ) أو (960هـ) جدّ صاحب "الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد" حيث ساق رحلة المغيلي بتفاصيلها مع سيدي عمر الشيخ، وترافقهما للقاء الحافظ السيوطي، وكذا حجّهما، وما يتعلق بعودتهما. وقد أخذ سيدي أعر الشيخ من المغيلي الطريقة وجدّد الأوراد على الإمام السيوطي⁽⁸⁾.

نص رحلة الحج كما ساقها صاحب الطرائف والتلائد

قال صاحب: "الطرائف والتلائد .. قال شيخنا في "الإرشاد" معرّفًا به:

"ومن الأولياء المشهورين بالعلم والولاية جدنا سيدي عمر الملقب بالشيخ، ... حجّ ورجع إلى المغرب، فجال في بلاد التكرور فلقي بها الشيخ الجليل القطب الكامل سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، وقد أقبل من بلاد هَوْص، يريد التكرور والمغرب الأقصى، برسم دعوى الناس إلى الإسلام

والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحمل الناس على السنة والكتاب⁽⁹⁾. فتفاوضا في العلم، وقال له: من أين أقبلت يا فتى؟

قال: من المغرب الأقصى، وهو مسقط رأسي ومحل إقامتي ونشأتي.

وقال: إن أرضا يأتي منها مثلك في حادثة سنك لا تحتاج إلى مثلي.

ثم تفاوضا في علم الباطن فأربى عليه فيه الشيخ بن عبد الكريم، فانخلع له من جميع ما بين يديه⁽¹⁰⁾ ولازمه برسم الصحبة ثلاثين سنة.

في تلك المدة توجهها إلى المشرق .. فساروا إلى وجهتهما حتى بلغا قرية أسيوطة وهي على شاطئ بحر الروم من جهة برقة⁽¹¹⁾، فوجدا فيها الشيخ الكامل السيد⁽¹²⁾ عبد الرحمان السيوطي، فسألها عن مقدمهما وما رأيا في طريقهما، ... ودخلا على السيوطي في مسجده، .. فأخذ كلّ منهما عن صاحبه الأوراد⁽¹³⁾... ثم توجها إلى الحج، فحجا ثم انصرفا إلى المدينة برسم زيارته

ص فلما أشفيا على المدينة المشرفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام- ارتجل قصيدته العجيبه التي مطلعها: **بُشْرَاك يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدِ الْأُمَمِ** وهذه حَصْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

فلما وافى الروضة الشريفة [ليدخلها]⁽¹⁴⁾ همّ الوكلاء بمنعه فقال:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيفٌ وضيف الله لم يضم

فاهتزت عند ذلك الروضة الشريفة، وانفتح بابها وفرّ الوكلاء لعظم ما رأوا، فدخل الروضة الشريفة فمكث فيها ساعة فأقبل الناس عليه فجعل يقول: لست هنالكم فلا تشغلوني عما أنا بصده، فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة، فإنها عين الرحمة، ومنبع الحكمة، وأصل الهداية. فلما رجعا من حجّهما وافق ذلك تعدّي أهل قرية من قرى توات على ابن الشيخ بن عبد الكريم فقتلوه، .. إلخ.

(7) الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز "أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة" (2/143) طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، عالم المعرفة-الجزائر.

(8) عن مقال كتبه: أحمدو بمبا، بعنوان: "خريطة الطرق الصوفية في غرب إفريقيا"، بتصرف.

(9) في نسخة بوعلي: (السنة والحجاب).

(10) في ك: ما بيده.

(11) الذي في "وصف إفريقيا" لليون الإفريقي (2/236): مدينة عتيقة شيدها المصريون على ضفة النيل. قلت: بريف صعيد مصرغرب النيل، وهي عامرة كثيرة الأهل، وهي التي ينسب إليها الحافظ السيوطي وأفرد لها تاريخا، وتحدث عنها في فصل من كتابه "التحدث بنعمة الله" (ص45 وما بعدها). فلعل هذه غير تلك، إن صحّ النقل.

(12) في نسخة بوعلي: سيدي.

(13) إلى هنا انتهى نقل صاحب "لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد" (2/ص939-940 موسوعة أعلام المغرب).

(14) ما بين [] زيادة من نسخة بوعلي.

هكذا رَجَع المغيلي إلى توات بعد بلوغه نَعْيٍ ولده سيدي عبد الجبار. وفي هذا قال التنبكتي: "وبلغه هناك قتلُ ولده بتوات من جهة اليهود فانزعَجَ لذلك .. ورحل لتوات فأدركته المنية بها، فتوفي هناك سنة تسع وتسعمائة..."

يقول محدثُ المدينة الشيخُ الفقيه حماد بن محمد بن محمد الأنصاري الإفريقي المالي التادا مكي، المناقي (المتوفى سنة 1419هـ) (رحمه الله) (15) يحكي لقاء أحد أجداد شيخه الأعلى وهو محمد بن يوسف الأنصاري بالجلال السيوطي:

"كان من الفارَّين بدينهم -الذين نالهم أذى الغزو التكروري- أحد أجداد شيخنا (محمد بن يوسف الأنصاري)، وكان من العلماء الكبار آنذاك، ومعه تلميذه الشريف محمد إسحاق أبو الهدى الدوغوي -نسبة إلى بلدة في المغرب، تسمى (دغوغ): قريبة من مراكش- وقد هربا إلى (النيجر) إلى بلدة اسمها (آير Air) شرق (النيجر) على حدود ليبيا، وهناك اجتمعا مع الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وعبد الكريم المغيلي التواتي، وكان (16) قد قدما من القاهرة إلى (النيجر) للدعوة والتعليم، بدعوة من قاضي (آير) محمود البغدادي؛ وهناك اجتمع الثلاثة من غير مواعدة بينهم، ففتحوا دروساً في المنطقة تحت إشراف القاضي البغدادي والحافظ السيوطي رحمهم الله.

ولما انتهت الدورة الدراسية، وعزم كلُّ واحد من الثلاثة (السيوطي والمغيلي، وجدُّ شيخنا) على الرِّحيل ذهب السيوطي إلى عاصمة نيجيريا (كانو Kano) بدعوة من رئيسها للتدريس هناك (17)، وذهب معه تلميذه جدُّ شيخنا، وأبو الهدى الشريف، ورَجَع عبد الكريم المغيلي إلى مسقط رأسه (18). ونشأته منطقة (أدرار) التي عاصمتها (توات) جنوب الجزائر، ورجع جدُّ شيخنا الأعلى محمد بن يوسف الأنصاري إلى وسط مالي في المنطقة الشرقية التي عاصمتها (تنبكتو Tombouctou) (19) جنوب (تادا مكة) التي هُدمت. هذا، وفي (تادا مكة) كان مولد الأنصاري ونشأته".

وأبو الهدى هذا المشار إليه هو محمد بن محمد بن محمد أبي بكر الشريف الحسني الأدرعي السوقي (ت982هـ) (20) وقال الفقيه السوقي إسماعيل محمد بن محمد الصالح نجل الولي أحمد ميدي في

"قصيدة سرد فيها نسب أبي الهدى"، قال ما نصُّه (21):

وأبو الهدى هذا الذي هو جدُّنا

يمني نشأ عند قوم نُقَد

حتى إذا شاع التشيُّع في الوري

هنا وغرَّد فيه كل مغرِّد

ألقى عصا التسيار وهو مهاجر

بمدائن التكرور أي مسوِّد

قد حج وهو مع السيوطي مرافقاً لهما
المغيلي أبو الهدى بن محمد

...إلخ القصيدة.

قال الشيخ المحدث العلامة محمد

الحاج بن محمد أحمد الشريف الأدرعي

الجلالي -من كبار علماء شمال مالي-

(ت1359هـ/1423م) وهو حفيد (22) أبي

الهدى (23):

(15) "المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري"، تأليف نجله عبد الأول بن حماد الأنصاري (1/ص 204 وما بعدها). وهو من إجاباته على أسئلة له في رمضان المبارك قبيل مرضه بأيام عام 1417هـ. وله ترجمة في: "إتمام الأعلام" (ص129-130) الطبعة الثانية - دار الفكر المعاصر - دمشق.

(16) لعل صوابها: وكانا.

(17) وهاتنا كلام لا بد من التنبيه عليه، يقول السيوطي في ترجمته لنفسه في حسن المحاضرة (1/338): وشرع في التصنيف في سنة ست وستين، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه. وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، ولما حججتُ شربتُ من ماء زمزم، لأمر؛ منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر. وقد حقق بعض الباحثين أن التاء في (سافرت) هي ليست تاء الفاعل وإنما تاء التأنيث، ويؤكد ما في التحدث بنعمة الله (وصارت مصنفاتي في سائر الأقطار، ووصلت الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور وامتدت إلى المحيط)، وكذا بما في الكواكب السائرة للغزي (1/228): (وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في البلاد الحجازية والشامية والحلبية وبلاد الروم والمغرب والتكرور والهند واليمن). انظر:

- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة، د.حازم سعيد حيدر مكتبة دار الزمان المدينة المنورة 1420هـ. (ص48).

- تاريخ السودان للسعدي تحرير وتعليق وتقديم د.حماد الله ولد السالم طبع دار الكتب العلمية - بيروت. (ص170).

- تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا)...تأليف: د. حماد الله ولد السالم طبع دار الكتب العلمية-بيروت. (ص232، 233).

(18) ياله من لقاء زهبي، طابت به مجالس الطلبة المستفيدين، ويكفي أهل السوق فضلاً، أن حلَّ فيهم مثل هؤلاء، حتى قال الشيخ العلامة القاضي حن بن أمثال الأنصاري يعقوبي: -من رجال القرن الثالث عشر- في رسالة له مخطوطة ص25، متحدثاً أنه لا بد للعلم أن يكون مع خشية فقال في سياق خطاب لأحد العلماء الكنتيين: "ولا شك أنهم أي السوقيين قد أحرزوا قصب السبق في هاتين الخصلتين على التمام في هذه البلاد، كما شهد به لهم كلُّ ثقةٍ رَضِي، وكلُّ عدلٍ فاضل من المتقدمين ممن عاصروهم وعرفهم كالجلال السيوطي، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي".

(19) انظر: "وصف إفريقيا" (2/165، 167).

(20) انظر تفاصيل أكثر في كتابي: مع المغيلي.

(21) "المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري" (2/644). قال ولده: "قصيدة ذكر فيها نسب الدوغيين" وغيرهم من الأشراف في تنبكتو، والقصيدة موجودة عندي بخط الناظم".

(22) قال أبو عمر أحمد محمد بن محمد الحاج الحسني الجلالي، في مقال مطوَّل كتبه عن والده -منشور في منتديات مدينة السوق، وفي ملتي أهل الحديث- بعنوان: ترجمة العلامة المحدث محمد الحاج بن محمد أحمد الحسني الأدرعي الجلالي رحمه الله [1359-1423هـ]: جُمع نوازل العلامة أبي الهدى (مفقود). وقد ذكر بعضها في ترجمته له، وفي تعليقاته الأخيرة على إتحاق المودود بالجواب عن أسئلة الابن محمود، وهي تتعلق بالسوق والسوقيين وتاريخهم وأنسابهم - له .

لقي بعض علماء "أدرار" وسبق أنه لقي بعض ذرية محمد بن عبد الكريم المغيلي وكتبهم وأرسل إليهم رسالة تتضمن مساهلات عم أجداده أبو الهدى للمغيلي.

وله ترجمة الشيخ أبي الهدى محمد بن محمد بن أبي بكر الحسني (مخطوطة بيده بملكانا).

ففي لسان الترجمان، المعبر عما في الدرر الثمان، وهو كتاب ضخم بناه على تاريخ الأشراف والأنصار من آل السوق، وقد مكث في تأليفه (20) سنة يفتش المكاتب القديمة، ترجم في مجلده الأول لعلماء بني عمه من الأشراف الحسنيين الأدرعيين، وهو تفصيل لما أجمله ابن عمه إسماعيل بن محمد الصالح في كتابه الدرر الثمان في شرافة الغر الثمان، فيما يتعلق بتاريخ أهل هذا البيت، وقد جاءت كارثة وادي الشرف -لا أعاد الله على العلماء والتراث الإسلامي مثلها- فذهبت بالمجلد الأول ومسودات ما بعده. فلا الأول عاد إلينا إلا ورقة يحتمل أنها من مبيضاته أو من مسوداته، فيها أوائل ترجمة الشيخ أبي الهدى، ولا مسودات ما بعده. ولا الشيخ أعاد بناء الكتاب على خطته الأولى فيما بقي من عمره بعد الكارثة، لكثرة المشوشات .. (انتهى بتصريف).

(23) أبو الهدى عم أجداده.

وقد جمعتُ من أسئلته (أبي الهدى) للشيخين: محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني والإمام السيوطي رسالةً ضمنَتْها ما وقفتُ عليه من تلك "الأسئلة والأجوبة".

قلتُ: وهي المسماة: "مسامرة النديم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم"، وقد منَّ الله علينا بإبرازها لأول مرّة ضمن الأعمال الكاملة للمغيلي، جاء فيها: "أبو الهدى طالت الصحبةً بينه وبين المغيلي.. ولم تزل المصاحبة والمصافاة بينهما حتّى وقعت المرافقة بينهما في الحج واشتركا في لقاء الإمام السيوطي بمصر⁽²⁴⁾ إلى ما لم نطّلع على غايته المكانية ولا الزمانية. وقد تبادلوا علومهما وتبادلوا فهمهما على ما أفصحت به المصادر التاريخية".

قال الشيخ العتيق بن الشيخ سعد الدين الشريف الإدريسي: "ويشهد لملاقاته للسيوطي والمغيلي ما وجدته بخطوطٍ كثيرٍ من قدماء السوقيين ولفظه:

قال أبو الهدى السوقي: سألتُ شيخنا محمد بن عبد الكريم -مباشرةً بلا واسطة-، إلى أن قال: ثم حججنا البيتَ شرفه الله وأعزّه وقصدنا نبينا -عليه الصلاة والسلام-، فدخلتُ مصرَ وظفرتُ بلقاء جلال الدين السيوطي -أيده الله- بداره فاستفتيته فيما استفتيتُ فيه ابن عبد الكريم فأجابني بمثل ما أجابني ابن عبد الكريم حتى كأنه يسمعه ويُبصره حين يجيبني... " إلى آخر كلامه.

قصيدة المغيلي الميمية

التأثيرُ الأدبي للمغيلي واضح بارز، فحين حاول الفقيهُ الشيخ آدم الألوري أن يؤرّخ لحركة الأدب العربي واللغة العربية في نيجيريا⁽²⁵⁾ لم يجد محيداً عن الاعتراف بتأثير المغيلي الأدبي ودوره في ترقية العلوم العربية والثقافة الإسلامية، مما جعله يقسم عصور الأدب العربي في نيجيريا -منذ قيام هذا الأدب فيها إلى العصر الحاضر- إلى خمسة أدوار رتبها على النحو التالي:

1. العصر البرناوي (عصر ظهور الإسلام في نيجيريا، من القرن الخامس إلى السابع الهجري).
2. العصر الونغري (من القرن السابع إلى القرن التاسع).

3. عصر المغيلي (من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر الهجري)⁽²⁶⁾.

4. العصر الفلاني (يبدأ بظهور ابن فودي وقيام دولته إلى سقوطها في بداية القرن الحالي).

5. العصر الأنجلزي (في القرن العشرين) اهـ

وللمغيلي قصائد عدّة، كالميمية على وزن البردة ورويتها في مدحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعندما حلَّ المغيلي بالحرم النبوي، حين أدّى فريضة الحج، اهتزت نفسه ونطق بقصيدة مؤثّر -هو نمطٌ فريدٌ من الرحلات الشعرية-، افتتحه بقوله [من البسيط]:

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدُ الْأُمَمِ

وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ (27)

وقد اقتصر د. أبو القاسم سعد الله (رحمه الله) على بيتٍ واحدٍ لشهرة هذه القصيدة الميمية، التي نظّمها المغيلي أمام قبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد عدّ ذلك من الكرامات حيث ذكر الكُنْثِي في كتاب "التوحيد" له⁽²⁸⁾ في حكاية توجه جدّه سيدي عمر الملقب بالشيخ مع المغيلي إلى الحجّ وأنه لما أشرف على المدينة ارتجل قصيدته العجبية التي مطلعها:

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدُ الْأُمَمِ

وهذه حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

فلما قام عند الروضة ليدخلها همّ الوكلاء بها بمنعه فقال:

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي

فَالْعَبْدُ ضَيْفٌ وَضَيْفُ اللَّهِ لَمْ يُضْم

فاهتزت عند ذاك الروضة الشريفة وانفتح بأبها، وفرّ الوكلاء لعظم ما رأوا فمكث فيها

ساعةً فأقبل الناسُ عليه وهو يقول لهم:

"لستُ هنالك فلا تشغلوني عما أنا بصده فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة فإنها عين الرحمة، ومنع الحكمة، وأصل الهداية".

ونصّ القصيدة الدالة على غوصه على المعارف:

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدُ الْأُمَمِ

وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

وَهَذِهِ الرَّوْضَةُ الْعَرَاءُ طَاهِرَةٌ

وَهَذِهِ الْقُبَّةُ الْخَضْرَاءُ كَالْعَلَمِ

وَقَبْرِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَحَجْرَتُهُ

وَصُحْبُهُ وَبِقِيْعٍ دَائِرِ بِهِمْ

فَطَبٌ وَغَيْبٌ عَنْ هُمُومٍ كُنْتَ تَحْمِلُهَا

وَسَلَّ تَنَالُ كُلَّ مَا يَرْجُوهُ مِنْ كَرَمِ

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي

فَالْعَبْدُ ضَيْفٌ وَضَيْفُ اللَّهِ لَمْ يُضْم

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي

يَا مَنْ لِقَاصِدِهِ أَمِنْ مِنَ النِّقَمِ

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي

فَبَحْرُ جُودِكَ مَوْرُودٌ لِكُلِّ ظَمِي

يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ يَا مَنْ ضَيْفُ سَاحَتِهِ

يَبِيْتُ بِالْأَمْنِ فِي خَيْرٍ وَفِي نَعَمِ

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مِنْ خَافٍ وَمُنْتَعِلِ

يَا أَفْضَلَ النَّاسِ فِي ذَاتٍ وَفِي شَيْمِ

(24) في تاريخ الفتاش (الباب السادس) عند ذكر السيوطي، قال: وزاره سيدي العالم العلامة محمد بن عبد الكريم.

(25) في كتاب له عنوانه: "مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية"، ط 2، 1992، (دون ذكر المكان)، ص 18-19.

(26) لذا لم يفت د. عمر فروخ أن يذكر المغيلي في "تاريخ الأدب العربي" (6/55، 69، 85، 132، 133، 710). وقد خصه د. أحمد جعفري بمقال عنوانه: "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي... أدبياً"، مجلة القصر، العدد الأول (من ص 10 إلى ص 12). مجلة الدراسات الأدبية والنقدية-جامعة تلمسان، العدد 4-5. وله أيضاً مقال آخر بعنوان: "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي حياته وأدابه" (الجامعة الإفريقية-أدرار).

(27) "تاريخ الجزائر الثقافي" (2/388).

(28) نقله صاحب "الإعلام بمن حلّ مراکش وأغامت من الأعلام" (5/رقم: 628).

يَا أَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءِ يَا مَنْ شَفَاعَتُهُ
عَمَّتْ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْوَجْدَانِ وَالْعَدَمِ

يَا صَفْوَةَ اللَّهِ يَا مَوْلَى مَكَارِمِهِ
عَمَّتْ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ طِفْلِ إِلَى هَرَمِ

[يَا صَاحِبَ الْحَوْضِ يَا بَحْرًا فَضَائِلُهُ
عَمَّتْ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمِ]

إِنِّي فَقِيرٌ إِلَى عَفْوٍ وَمَرْحَمَةٍ
وَأَنْتَ أَدْرِي بِمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ

وَقَدْ أَتَيْتُكَ أَرْجُو مِنْكَ مَكْرَمَةً
وَأَنْتَ أَهْلُ التَّقَى وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ

فَالْحَالُ يَغْنِي عَنِ الشُّكْوَى إِلَيْكَ وَقَدْ
عَرَفْتُ حَالِي وَإِنْ لَمْ أَحْكِيهِ بِقَمِ

فَأَسْفَعُ لِعَبْدِكَ وَأَجْبِرُ كَسْرَهُ فَلَقَدْ
أَوْدَى بِهِ الْكَسْرُ مِمَّا نَالَ مِنْ جُرْمِ

يَا أَحْمَدُ يَا أَبَا بَكْرٍ وَيَا عَمْرُ
تَزِيلُكُمْ فِي أَمَانٍ غَيْرِ مُنْهَضِمِ

وَقَدْ سَعَيْتُ إِلَى أَبْوَابِ حُجْرَتِكُمْ
سَعْيًا عَلَى الرَّأْسِ لَا سَعْيًا عَلَى الْقَدَمِ

أَتَى مِنْ أُمَّ الْقُرَى يَرْجُو الْقَرَى كَرَمًا
[مِنْ سَيَادَتِكُمْ بِحَارِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ]

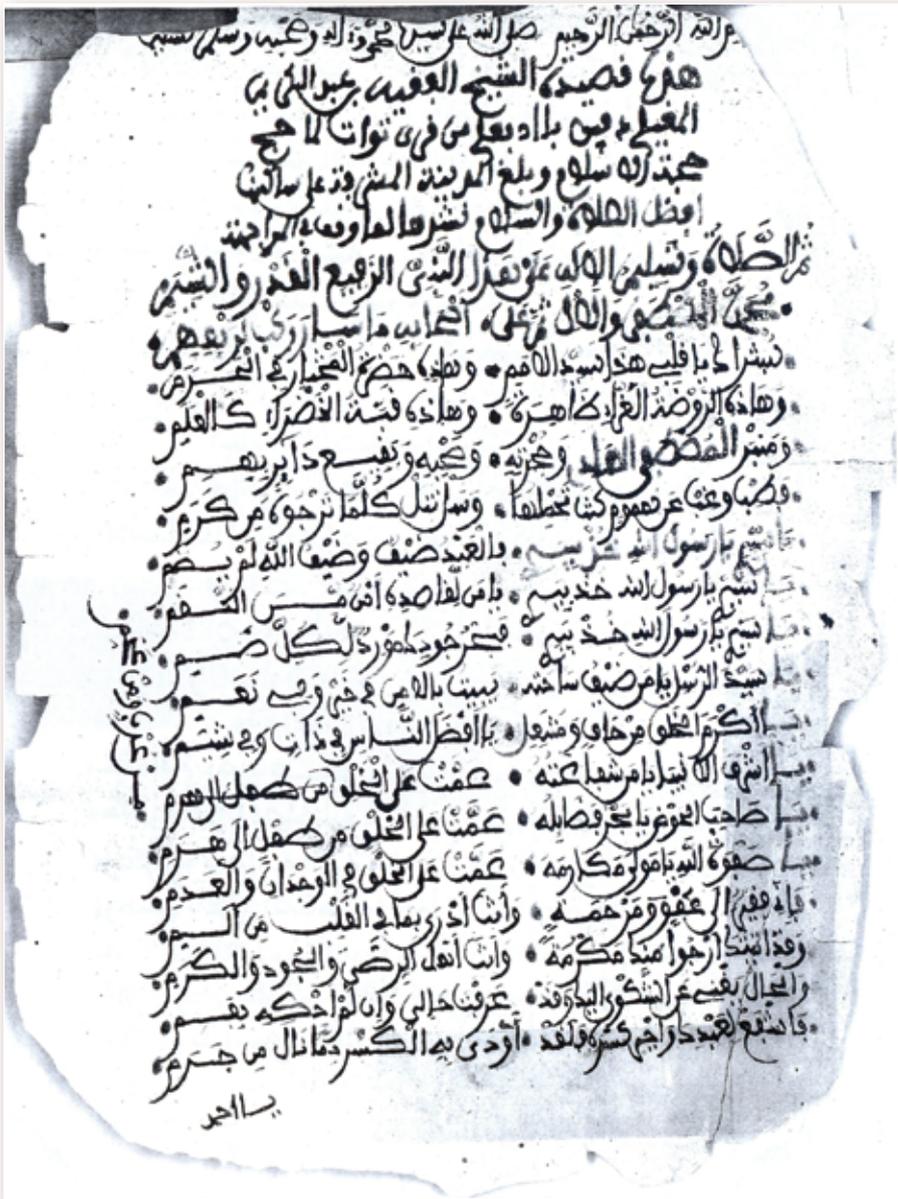
فَإِنْ قَبِلْتُمْ فَإِنِّي مُفْلِحٌ بِكُمْ
فِي زُورَةٍ وَأَقْتِرَابِ وَافِرِ الْقَسَمِ

يَا مَنْ أَجَلَ مُلُوكِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
فِي بَابِ أَفْضَلِهِمْ مِنْ أَصْعَرِ الْخَدَمِ

فَهَلْ عَسَى نَظَرُهُ مِنْكُمْ لِزَائِرِكُمْ
يَغْنِي بِهَا عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ

مُحَمَّدٌ وَصَّحْبُهُ الَّذِينَ بِهِمْ
طِبْنَا وَغَبْنَا عَنِ الْخُسْرَانِ وَالنَّدَمِ

يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَا مَوْلَايَ عَبْدُكَ فِي
بَابِ الرَّجَى يَرْتَجِي أَمْنًا مِنَ النَّقَمِ



وتجدر الإشارة في الختام إلى أن لهذه القصيدة نسخا مخطوطة كثيرة، من ذلك:

- نسخة في المكتبة البكرية بتمنيط - أدرار، منها مصورة فيلمية بمركز الأرشيف الوطني رقم: 18/07م، ضمن مجموعة قصائد تحت عنوان "مدائح محلية". من اللقطة 726 إلى 748 (30).
- نسخة جيدة بالمكتبة الزينية بوجيه - مالي (31).

فَجَدَّ عَلَيْهِ بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ كَرَمِ
فَقَدْ تَوَسَّلَ فِي الدُّنْيَا بِحَقِّهِمْ

ثُمَّ الصَّلَاةَ وَتَسْلِيمِ إِلَّا لَهُ (29) عَلَى
هَذَا النَّبِيِّ رَفِيعِ الْقَدْرِ وَالشَّيْخِ

مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى وَالْآلِ ثُمَّ عَلَى
أَصْحَابِهِ مَا سَرَى رَكْبٌ لِرَبِّعِهِمْ
ا.هـ

(29) قال ابن سيده في "المحکم": الإلاه: الله عز وجل، وانظر: فصل الهزمة من تاج العروس للزبيدي.

(30) "فهرس المخطوطات العربية المصورة على المصغرات الفلمية والتي لم تشملها أدوات الضبط الببليوغرافي، في مركز الأرشيف الوطني"، إعداد: نسيمه عرعار، إشراف: فضيلة توكور. (ص162).

(31) فهرس المخطوطات الإسلامية المكتبة الزينية بوجيه-مالي، فهرسة: عبد القادر مما حيدرة، تحرير: أيمن فؤاد سيد، طبع مؤسسة الفرقان لندن 1427هـ-2006م. (2/رقم: 926) بعنوان: قصيدة في مدح النبي ﷺ.